

من منا المعاق؟

أ.م.د/ عصام الدين شعبان على
أ.م/ إبراهيم بيومي إبراهيم

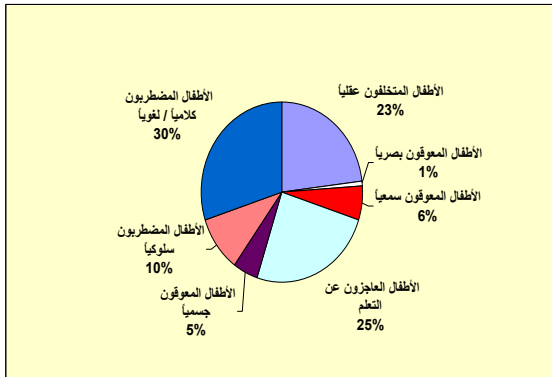
كانت اجتماعية أو نفسية أو سلوكية والتي ظهرت كنتيجة حتمية لنظرة المجتمع لهم. وتتفاقم المشكلات ويصبحون عبئا على أسرهم ومجتمعهم، ومن هنا ساد الشعور بأنهم أقل من الأفراد العاديين وتولد لديهم شعور بالإحباطات العديدة، والتي يمكن أن تظهر على شكل الامتناع الشخصي عن إشباع الدافع. وقد يكون ناجما عن الخوف من النتائج أو قد يكون ناجما عن الصراع وقد يكون تفاديا لاحكام الناس. وقد تكون حالة الإحباط ناجمة عن عوائق داخلية، هي في حد ذاتها عوائق نفسية أو جسمية، وتعتمد الأسرة إلى عزل الطفل المعاق عن البيئة المحيطة والخوف عليه من عدم التكيف، والتي تؤثر تأثيرا عميقا في نفسية المعاق، وأنه إذا ما عزل فسوف يحرم من فرصة استخدام ما لديه من قدرات واستعدادات ومهارات.

وما يزيد العملية إحباطا: المجتمع من خلال إبراز جوانب العجز فيه وإهمال جوانب القوة فيه، مما يزيد حالته النفسية تعقيدا ويجعل المعاق أقرب إلى العزلة وتحاشي الصدام الاجتماعي أو المناقشة حتى مع من يشبهونه في جوانب العجز أو نواحي القصور الجسمي أو العقلي، وكان أقصى ما تقدمه لهم هذه المجتمعات هو تجميعهم في مؤسسات خاصة ويظلوا هكذا إلى أن تنتهي بهم الحياة.

وعلى الرغم من ذلك فإن الخدمات التي تقدمها المؤسسات الخاصة في الوقت الراهن (طبقا لتقارير منظمة الصحة العالمية) لا تلي سوى نسبة تتراوح بين (1%) إلى (3%) من احتياجات الأشخاص المعاقين الذين يحتاجون إلى التأهيل، وبعبارة أخرى فهناك (95%) تقريبا من المعاقين في تلك البلاد لا يتلقون رعاية منظمة.

فقد كان في السابق ننظر للفئات الخاصة على انهم معوقون للمجتمع وتارة ننظر اليهم بنظرة عطف وتارة اخرى على انهم عاجزون عن القيام بما يقوم به الاسوياء واليوم لايد أن يتغير ذلك التفكير وتلك الثقافة الخاطئة وأن نعيش وسط مجتمع يثمن الإنسان بأفعاله بغض النظر عن وضعه الصحي والاجتماعي، أن نعيد النظر لنتسائل: من منا المعاق؟ قال تعالى: قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْهَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَاسَ إِلَّا قَلِيلًا [الأحزاب آية: (18)] فالمعوقين هنا هم المثبطين للهمم.

تشير الإحصائيات المنشورة بمنظمة الصحة العالمية الى ان نسبة المعاقين بلغت 15% من مجموع سكان العالم، 80% من المعاقين معظمهم من بلدان العالم الثالث والبلدان النامية. والمثير للاهتمام ان الاحصائيات الخاصة بأعداد الأطفال المعاقين في مرحلة ما قبل المدرسي بلغت نسب مئوية متباينة طبقا لنوع الإعاقة كما بالشكل الآتي:



اقتضت حكمة الله العلي القدير أن لا يكون البشر سواء، وان كانوا سواسية لا يتفاضلون إلا بالتقوى فمن الناس من فضلهم الله في الرزق ورفع بعضهم فوق بعض درجات، ومنهم من زادهم بسطه في العلم والجسم ومنهم ذوي الاحتياجات الخاصة ممن حرم من بعض حواسه منذ مولده أو فقدها في مرض أو حادث، وعندما نتحدث عن ذوي الاحتياجات الخاصة بشكل عام، فإننا نتجه إلى التركيز على الإعاقة - بكل أسف - بدلا من الاهتمام بالفرد ذاته وما لديه من مميزات وقدرات خاصة لذا جاءت النظرة سلبية إليه، فقديمًا كان ينظر للإعاقة على أنها عاهة، مما ساهم في عزلتهم وتهميش دورهم و إصاق المسميات السلبية، فلا إمكانيات لتأهيلهم وتدريبهم ولا محاولات لعلاجهم، ولا ثقافة تؤهلهم، وكان ينظر إليهم على أنهم أفرادا معوقين وليسوا معاقين وبالتالي لا جدوى منهم، وأرجع الناس الإعاقة إلى قوى غيبية أو تصورات غير منطقية ومنهم من اعتبرها نذير شؤم، وشهد العصر الإغريقي التخلص من الأطفال المعاقين عن طريق قتلهم للمحافظة على نقاء العنصر البشري، أما في العصر الروماني فقد كان يتم التخلص من المعاقين عن طريق إلقائهم في الأنهار أو تركهم على قمم الجبال ليموتوا، وعندما جاء الإسلام نادي بعدم التفرقة بين البشر وأقامه المساواة كما أكد على وجوب النظر إلى الإنسان على أساس عمله وقلبه وليس على أساس شكله أو مظهره وطلب كف الأذى المعنوي المتمثل في النظرة والكلمة والإشارة وغيرها من وسائل التحقير والاستهزاء.

فالمتمامل في المنهج الإسلامي يلاحظ أنه يهتم بذوي الاحتياجات الخاصة في كثير من تشريعاته ولا غرابة في ذلك فهو دين الحق ودين المساواة جاء ليبديد الباطل وينصر المظلوم وينتشر الحق ويخرج الناس من الظلمات إلى النور ويتجلى اهتمامه بالمعاقين في المساواة بين البشر في الحقوق والواجبات إن أكرمكم عند الله أتقاكم وفي تكريم الإنسان في أصل خلقته. قال تعالى (قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ) [التوبة آية: (51)]. كما وجه المسلمين إلى عدم السخرية من أي فرد في المجتمع قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرُوا مِنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْكُمْ وَلَا نِسَاءً مِنْ نِسَاءِ عَسَىٰ أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) [الحجرات آية: (11)].

ومع مرور الأيام تغيرت الصورة نحو الأحسن، بحيث يهدف إلى إتاحة الفرصة أمام ذوي الاحتياجات الخاصة للحياة مثل الأفراد العاديين، فتقدم الأمم وارتقائها يتوقف على مدى عنايتها بتربية الأجيال بمختلف فئاتها، ويظهر ذلك بوضوح في مدى ما تقدمه للأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة من عناية واهتمام، وتوفر الرعاية الشاملة في كافة الجوانب بهدف إعدادهم لحياة اجتماعية واقتصادية وشخصية ناجحة تؤدي إلى خدمة المجتمع.

فاهتمام المجتمعات بذوي الاحتياجات الخاصة أصبح أمرا ضروريا وحتميا بعد ظهور العديد من المشكلات سواء

تارة اخرى، ففي منتصف الشكل الاتي صورة تعبر عن ما نراه والذي نتمنى ان نراه بالمظهر الحسن.



فالإنسان من سنتين إلى سن 18 سنة من حياته يتلقى خبرات منها 4000 خبرة إيجابية، 180.000 خبرة سلبية. وخلال ساعة واحدة تتحدث إلى نفسك بـ 7000 كلمة، وتكمن الخطورة ان 80% مما نحدث به أنفسنا كلمات وأفكار سلبية، وبالتالي تزيد من نسبة الإصابة بالاحباط والتي تعرض صاحبها الى الاعاقة الحقيقية.

ان الإنسان العادي لا يستخدم من قدراته الذهنية والعقلية الا 3%، أما العابرة من الناس فقد وصلت قدرتهم على تفعيل قدراتهم العقلية إلى 7%، فهل تتخيل بناء على ذلك إلى أي درجة من الإمكانيات أعطاك ربك سبحانه وتعالى!! ألا يجدر بك أن تكون محترم ومقدر لتلك الإمكانيات!! احترم قدرتك.. واحترم ذاتك.. ومن ذلك أن تفكر في مزاياك.. بما تتميز؟! ما هي الهبات التي وهبك الله إياها؟ وما مدى استخدامك إياها؟ وهل تحسن استخدامها؟ فإذا كنا نتصور ان المعاق (عقلياً مثلاً) لا يستطيع القراءة والكتابة، فكم منا يستطيع ولكن لا يقرأ ولا يكتب؟ وان استطاع: فاين الكم والكيف؟ اذن من منا المعاق؟

ان الإعاقة الحقيقية ليست في الحواس (كما يعتقد البعض) ولكنها في القلوب، مصداقاً لقول الله تعالى: أَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونُ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ [الحج آية: (46)].

وعلى المجتمع والمؤسسات التربوية تغيير فلسفتها والتطلع إلى آفاق طموحات المستقبل ونحو غد أفضل للرعاية الثقافية، النفسية، والصحية، والاهتمام بالأنشطة الرياضية لما لها من الأثر البالغ في الاندماج المجتمعي لفئات الأسوياء وذوى الاحتياجات الخاصة معاً، ومن هذا المنطلق اتجهت انظار العالم في الآونة الأخيرة إلى الاهتمام بذوى الاحتياجات الخاصة، من خلال البطولات الأولمبية والعالمية، حيث طالعنا البطولات الأخيرة بمدى التقدم الهائل لهؤلاء المعاقين في الألعاب الرياضية المختلفة، وهذا دليل على نجاح هؤلاء المعاقين أو متحدّي الإعاقة بجميع أنواعها.

وهنا يجب إشباع الحاجات الأساسية لديهم ... ولدينا أيضاً، كالحاجة إلى الأمن والحاجة إلى الشعور بالنجاح والحاجة إلى إثبات الذات والحاجة إلى الحب والاحترام وبما يتناسب مع مكانة الإنسان في أرض الله، فقال تعالى: وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً [الإسراء آية: (70)].

فأين تدبر المتدبرون وحمد الحامدون على نعم الله التي لا تعد ولا تحصى؟ قال تعالى: وَأَنَّا كُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِن الْإِنْسَانَ لظَلُومٌ كَفَّارٌ [إبراهيم آية: (34)].

وهذه التقارير تعد بمثابة ناقوس الخطر لمدي الكارثة التي سوف تواجهها في مستقبل حياتنا بفقد نسبة ليست بالقليلة من سكان المجتمع، تعيش في عزلة عن مجريات الأمور، ولا يسعى المجتمع إلى اشتراكها في حياته العامة. ولأن الغد ليس مضموناً لا للشباب ولا للمسن ... ربما تكون في هذا اليوم المرة الأخيرة التي ترى فيها أولئك الذين تحبهم ... فلا تنتظر أكثر، تصرف اليوم لأن الغد قد لا يأتي ولا بد أن تندم على اليوم الذي لم تجد فيه الوقت من أجل ابتسامة، أو عناق، أو أنك كنت مشغولاً ... كي ترسل لهم أمنية أخيرة ...

ربما هي واقع اعتدنا عليه وأصبحنا نعيشه من دون أن نشعر به لدرجة وصفنا لكثير من احوالنا بالروتينية، فعندما يفرض رأيه دون الإهتمام بمشاعر غيره.. وعندما يحصل على عمل مميز من دون جدارة واستحقاق، وعندما نرى في الجانب الآخر انسان بكل ما تحمله هذه الكلمة من معاني معلم لدروس الإرادة والتحدى فتعجز الكلمات أن تعبر عن ما يدور في خاطري ويفكر به عقلى وعندما لا اجد قدوة لي من بنى البشر سوى هذا المعلم صفوان - صديق لي - الذي يردد دائماً أنا معاق، أنا قاصر، أنا لا أستطيع، أنا هكذا لا يمكن أن أملك عقل بينما ليث الذكي العبقرى الفذ الذي أحرز درجات عالية في معظم المواد، وقد خرج صفوان لبيحت له عن مكان بين بعيداً عن مسمى الاسوياء وقم الأذكىء ويصدم بواقع المجتمع ليجد نفسه بين أعداد هائلة من امثاله المعاقين الذين أقصاهم المجتمع بمطرقة الموهبة والتفوق والامتياز وسندان الضعف وعدم الاجتياز، فالإيمان بالفروق الفردية لا نقاش فيه ولكن الاعتقاد بتوفر الفرص طبقا للقدرات يجب ان لا نغفلها، و صفوان لا ينكر تباين العقول ولكنه ضد التصنيف الجائر وضد اعتبار النجاح الحقيقي في التحصيل الدراسي فقط ولا يخفى على مطلع قصور مناهجنا التربوية وعن تلبية الاحتياجات المتغيرة مخاطبة الذكاءات المتعددة فكيف لنا أن ننساق خلف ثقافة تجعل التحصيل الدراسي دليل غياب وذكاء وفشل ونجاح وقدرة واستحالة، وقد أثبتت الدراسات أن المتفوقون دراسياً الذين يعتمدون على القص واللصق والتلقي والتفريغ لا ينجح منهم في الحياة سوى 3% فقط، وأقول لصفوان: انطلق فكل ميسر لما خلق له انطلق فالفرص كثيرة والخيارات متعددة والله سبحانه وتعالى رحيم بك كريم عليك عليم بما يصلح لك فأحسن الظن بربك واسع جاهداً فوق أرضه وتحت سمائه. يقول ابن القيم: حسن الظن بالله يؤدي الى التوكل عليه، فاتك عادة لا تتوكل إلا على من تحسن الظن به.

فثق بالله، فإن الثقة بالله ثم بالنفس هي طريق النجاح في الحياة، وإن الوقوع تحت وطأة الشعور بالسلبية والتردد وعدم الاطمئنان للإمكانات هو بداية الفشل، وكثير من الطاقات أهدرت وضاعت بسبب عدم إدراك أصحابها لما يتمتعون به من إمكانيات أنعم الله بها عليهم لو استغلوها لاستطاعوا أن يفعلوا الكثير، والسعى الدائم لتحويل الأفكار السلبية الى أفكار إيجابية، فالأفكار الإيجابية تساعدك بالفعل.. فإذا قلت لنفسك: رغم البداية السيئة .. سأستنير من دروس الماضي لحاضر متفائل وأكون اليوم أفضل.. واخطط لنهج مستقبلي .. وسأسعى بعون الله لتحقيقها .. وأنسى سافح.. وسترتفع معنوياتي. وسأحسن الظن بكل من حولي.. وأنظر إلى الحياة بنظرة إيجابية متفائلة. قال تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ [الحجرات آية: (12)]. ويجب على الفرد أن لا يكون اسير أفكاره ومعتقداته التي غالباً ما تقوده الى اصدار الاحكام والتصورات عن الاحداث بصورة تجعله يصاب بالاحباط تارة والعجز والندم